إنجيل متى ٣: ١٣-١٧

معمودية يسوع – ومعموديتك

تأليف: تومي ساوث

« حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً: « أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ! » فأجاب يسوع وقال له: « اسمح الآن! لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ». حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السموات قائلاً: « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (متى ٣: ١٣-١٧).

عندما جاء يوحنا المعمدان يكرز في البرية، كان قد وضع حداً لفترة اربع مئة سنة من الصمت التي لم يسمع خلالها صوت نبوي في إسرائيل. بينما كان يوحنا منشغلاً يكرز ويعمد، وضع يسوع حداً إلى صمت أيضاً: « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه » (متى ٣: ١٣). يخبرنا متى عن ولادة يسوع وطفولته، ومن ثم قفز ثلاثين عاماً ليخبرنا عن معمودية يسوع. المعلومة الأخرى الوحيدة التي لدينا عن تلك الفترة الصامتة من حياة ربنا هي ما ورد في إنجيل لوقا عن ذهابه إلى الهيكل عندما كان في الثاني عشر من عمره (لوقا ٢: ٤١ و٤٢). عندما بلغ يسوع الثلاثين من عمره، كان مستعداً ليبدأ خدمته العامة، وإعداداً لذلك، جاء إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه.

معمودية يسوع هي مزيد من معرفة هويته

ان هدف متى من الجزء الأول من إنجيله هو ليخبر عمن يكون يسوع. هذا صحيح أيضاً بالنسبة لقصة معموديته من قبل يوحنا. تظهر الآيتين ١٦ و١٧ تلك العلاقة مباشرة بعد معمودية يسوع، حدث اعلانين من الله – نزول الروح القدس وصوت الله.

« هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ». هنا عبارة صوتية تخبر عمن هو يسوع.[١] الآن قد قال صوت الله بوضوح تام ما كان مضموناً بالولادة من العذراء بالعبارة القائلة: « من مصر دعوت ابني » (متى٢: ١٥)، أي أن المسيا هو أيضاً ابن الله. كان ذلك رؤيا مفزعة بالنسبة ليهود ذلك الزمان. كانوا يتوقعون مجيء المسيا، ولكن لم يتوقع أحد ان يكون ابن الله! ونتيجة لذلك، اغتاظوا. وما زال يغتاظ الكثيرون.

ولكن بقيت هوية يسوع كابن الله مسألة الخط الفاصل للإيمان. تفصل المؤمن عن الشكوكي. ولكن الأسفار المقدسة واضحة:

> « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » (مرقس ١: ١).
>
> ... « هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا » (متى ١٧: ٥).
>
> ... « أنت هو المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦: ١٦).
>
> « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملؤا نعمة وحقاً » (يوحنا ١: ١٤).
>
> ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني (غلاطية ٤: ٤ و٥).

[١] هذه العبارة تربط بين اثنتين من النبوءات عن المسيح في العهد القديم (المزمور ٢: ٧؛ وإشعياء ٤٢: ١).

> الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه... (عبرانيين ١: ١ و٢).
>
> من يؤمن بابن الله، فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة (يوحنا الأولى ٥: ١٠-١٢).

إن كان عليك ان تحصل على الحياة الأبدية، لا بد أن تؤمن بيسوع كونه ابن الله. لا يكفى ان تؤمن فقط بيسوع بطريقة مبهمة، أو تقول انه كان «إنسان عظيم» أو «نبي» أو إنسان بصفات إلهية. لا بد أن تعترف انه ليس أقل من ابن الله. لا بد أن تعترف مع بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي».

معمودية يسوع كشهادة

ان هوية يسوع كابن الله تثير سؤالاً مهماً ومحيراً: «إذا كان يسوع هو المسيا وابن الله، فلماذا اعتمد؟» السؤال معقد أكثر عند اعتبار سبب معمودية يوحنا «معمودية التوبة لمغفرة الخطايا» (مرقس ١: ٤). كونه ابن الله، هذا يدل على عصمته كما ان النص المقتبس أخيراً يؤكد هذا.[٢] إذاً، لماذا أصر يسوع بالخضوع إلى معمودية التوبة؟

هذا السؤال أيضاً وضع يوحنا في معضلة، كما يبينها متى ٣: ١٤: «ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟» تقول ترجمة كتاب الحياة، ترجمة تفسيرية: «لكن يوحنا أخذ يمانعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد على يدك وأنت تأتي إليّ!» هذه ترجمة دقيقة لأن الفعل «أخذ يمانعه» يدل على التكرار من جانب يوحنا. يبدو ان يوحنا المعمدان اشتبه انه لا بد ان يكون يسوع هو المسيا، رغم ان إنجيل يوحنا ١: ٣١-٣٣ يبين ان هذا لم يؤكد حتى سمع يوحنا صوت الله ورأى الروح نازلاً. هذا السؤال نفسه ما زال يضطرب الناس اليوم. يتسأل المؤمنون: «لماذا اعتمد ما دام انه كان بلا خطية؟» ومن ناحية أخرى، يعتبر غير المؤمنون الحقيقة انه اعتمد كدليل على انه لم يكن بلا خطية، وبان القول انه بلا خطية هو من ابتكار الكنيسة فيما بعد.

يمكننا أن نحدد ثلاثة أسباب على الأقل أدت إلى معمودية يسوع:

أولاً: يوجد تفيسر يسوع لذلك في متى ٣: ١٥: «اسمح الآن! لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر». كان يسوع قد عقد العزم على ان يخضع لكل ما يطلبه الله من الناس بصفة عامة («كل بر»). انه من المناسب لمسيا إسرائيل ان يعمل كل مشيئة الله دون استثناء. فيما بعد، في متى ٢١: ٢٥ يكرر يسوع المبدأ القائل انه لا بد من الاهتمام بما هو من «السماء» أو بسلطان إلهي. إن لم يكن قد فعل كل ما كان عليه أن يفعل، لكان هذا يعرضه بان يتهم بعدم الطاعة. لهذا تمم كل شيء. لا يوجد ما ليس له أهمية.

ثانياً: بالإضافة إلى السبب الموضح لمعمودية يسوع، قد يُسْتَنْتَج انه أخضع للمعمودية لكي يتشبه بالبشر الخطاة. لم يأتي يسوع إلى يوحنا كفرد بلا منزلة، بل أتى كمخلص العالم. لكي يكون مخلصنا، كان عليه أن يحمل خطايا العالم كله على نفسه. وُصف بنا أيضاً إذ صار جسداً (فيلبي ٢: ٥-١١)، وبتجربته، وحمل خطايانا على الصليب. لم يأتي يسوع ليحكم على الخطية، ولكن ليحمل خطايانا. لم يعتمد لأجلنا وإنما لكي يوصف بنا.

ثالثاً: جاء يسوع ليوحنا ليعتمد لكي يبدأ بداية جديدة في حياته. كانت معموديته هي تنصيبه على خدمته العامة. قد حضر الوقت ليقوم بواجبه علناً. لقد كان ابن الله والمسيا، ولكن أكد الروح والصوت {عند معموديته} انه مختار الله. هذا أعده لينفذ عمله الخلاصي.

---

[٢] على سبيل المثال، أنظر الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٥ ورسالة بطرس الأولى ٢: ٢٢.

معمودية يسوع كمثال

عند اعطاء المأمورية العظمى، أرسل يسوع تلاميذه ليعمدوا «جميع الأمم» («للخليقة كلها»، مرقس ١٦: ١٦). لم تكن هذه المعمودية مثل معمودية يوحنا، إذ انها لا بد ان تقام باسم يسوع وتحمل الوعد بالروح القدس. هذا بالإضافة إلى حقيقة ان يسوع بلا خطية مما يجعل منها معموديه فريدة من نوعها. ما زال هناك بعض التشابه بين معمودية ربنا ومعموديتنا، وخاصة بما يختص بالأسباب التي من أجلها نعتمد:

أولاً: لا بد أن نعتمد لكي «نكمل كل بر». كلمة الله تأمر بها! الجموع الذين نخسوا في قلوبهم في يوم الخمسين، كانوا قد سمعوا ما صرح به بطرس ان يسوع هو رباً ومسيحاً وسألوا عما يفعلون، فأجاب بطرس: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس» (أعمال ٢: ٣٨). العبارة «كل واحد منكم» التي وردت في هذه الآية تمثل «جميع الأمم» و«الخليقة كلها» التي ذكرت في المأمورية العظمى، ويؤدي إلى السؤال الذي لا يمكن تجنبه: «كيف نرضي الله إذا رفضنا ان نعتمد؟ إذا كان يسوع يحتاج ان يكمل كل بر، ألا تحتاج ان تفعل أنت كذلك؟». اذكر ان يسوع نفسه هو الذي قال: «إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي» (يوحنا ١٤: ١٥).

ثانياً: كما اعتمد يسوع لكي يوصف مع الذين جاء ليخلصهم، هكذا أيضاً يجب أن نعتمد لكي نتشبه بالمسيح وبشعبه، أي الكنيسة. عندما نعتمد، نعتمد لموت يسوع ونقوم بشبه قيامته (رومية ٦: ٣-٥). نصف أنفسنا بهذه الأحداث الحاسمة لخدمة ربنا ونعترف بحاجتنا إلى فعاليتها للخلاص. تقول الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢: ١٣ وأعمال الرسل ٢: ٤١ و٤٧ انه عندما نعتمد، يضمنا الرب بروحه إلى جسد المسيح، أي الكنيسة. لا تشير ولادة طفل إلى بداية حياة فرد فقط، بل أيضاً الزيادة في الأسرة. لا يوجد للطفل هويته فقط، بل يتسم بصفات الأسرة. عندما نستجيب بالإيمان إلى الإنجيل ونعتمد لمغفرة خطايانا، فاننا نولد من جديد - ليس فقط كأفراد مؤمنين، بل كأعضاء عائلة الله.

ثالثاً: كانت معمودية يسوع هي نقطة البداية لخدمته العامة كمخلص العالم. ومعموديتنا به تكون بداية لخدمتنا كتلاميذ يسوع. وبموجب الأسفار المقدسة، تضع المعمودية الخط الفاصل بين الحياة القديمة والجديدة. نادى بولس قائلاً: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٧). فسر يسوع لنيقوديموس انه بدون الولادة الجديدة من الماء والروح لا يمكنه ان يدخل ملكوت السموات. بعيداً من كونها «مجرد علامة» أو عمل شعائري، فان المعمودية هي التعبير بتعهدنا للمسيح وبداية علاقة المعلم مع التلميذ معه.

الخلاصة

طبعاً السبب الرئيسي لمعموديتك الذي لم يكن ليسوع هو: بدون المسيح والطاعة بالخضوع إلى مشيئته، تكون ضالاً في خطيتك. لا بد أن تلتقي بدمه الخلاصي، يعلم الكتاب المقدس بانه يحدث الالتقاء اثناء عملية التعميد، عندما تعتمد لموته.

> «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس» (أعمال ٢: ٣٨).

> «والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (أعمال ٢٢: ١٦).

إن لم يكن يسوع المسيح هو كل ما ادعى به، فانه يكون أكبر كذاب عرفه العالم على الاطلاق. إن لم يكن يسوع المسيح هو الله وابن مريم، لكان العالم قد ضُلل؛ يكون قد غش أكثر الناس، ويكون مصدر رجاء كاذب أكثر من أي إنسان عاش في العالم على الاطلاق.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧